

قراءة نفسية لأفكار أحلام مستغانمي من خلال كتابها (قلوبهم معنا وقنابلهم علينا)

الدكتور ولي بهاروند (الكاتب المسؤول)

أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة شهيد چمران اهواز ايران
daneshmand11@gmail.com

الدكتور وفادار كشاورزي

استاذ مساعد في اللغة العربية وآدابها بجامعة علوم ومعارف القرآن الكريم

بشيراز-ايران

vafadarkeshavarz@gmail.com

Psychological Analysis of Ahlam Mosteghanemi's Opinions in Her Book "Their Hearts Are with Us and Their Bombs Are against Us

Vali Baharvand

**Assistant Professor of Arabic language and literature at Shahid Chamran
University of Ahvaz, Iran**

Vafadar Keshavarzi

**Assistant professor of Arabic language and literature at the University of
Quranic Sciences and Thoughts , Shiraz, Iran**

الملخص :

الدراسات النقدية النفسية للنصوص الأدبية تبين العلاقة المتبادلة بين الحالة النفسية للأديب وإبداعه المنتج وتكشف من خلالها نيات و مكونات نابعة من نفس الأديب. عوامل نفسية كثيرة كان لها تأثير كبير في حياة أحلام مستغانمي فولدت لديها الحنية واليأس والخوف من الآتي و سوء المستقبل و زرعت في نفسها العداوة و الحقد. فإننا نجد في كتابها «قلوبهم معنا و قنابلهم علينا» قد مارست تصوير الواقع الاجتماعي و السياسي للعالم و البلاد العربية و العراق خاصة و قد ظلت تنادي بكل صراحة و جرأة لإيصال صوتها إلي العالم و الدول العربية و تستحثهم بلهجتها الجهورية بالقيام ضد أميركا، و الغضب، و الألم، و العداوة و اليأس تستشعر من صوتها. فهي تبالي إذا أرادت أن تهكم أو تنفج. والإسراف يطغى علي مزاجها فينهك أعصابها. و الكتابة المزوجة بالسخرية إحدي الطرق التي تستعملها لتسفي غليلها و حقدوا الداخلي. تصل سخرية أحلام إلي درجة الهجاء الفاحش فتتناول أعراض بوش و أسرته بألفاظ بذية بعيدة عن الأخلاق وهذا النوع يجعل القارئ يشم منه. يحاول هذا المقال عبر المنهج التوصيفي-التحليلي أن يسبر المقولات النفسية التي تطغى علي ذاكرة أحلام و تسبب العداوة و البغض و الفحش في كلماتها. فإن أيسر ما نقرأها لها و عنها يلقي في روعك الظنة القوية في سلامة أعصابها و اعتدال صوابها. ثم كل ما نطالع في ثنايا سطور مقالاتها، قرائن لا نخطئ فيها الدلالة الجازمة علي اختلال أعصابها و سلامتها. هناك عوامل نفسية كثيرة أدت إلي الحنية والخوف لدي أحلام مستغانمي، و زرعت في نفسها العداوة و الحقد. منها: فقدان صحة والدها، مشاهدة الأزمات و الاغتيالات في بلدها، استشهاد كل أعمامها و أبناء عمها في المعارك ضد الاحتلال، مهاجرتها و زواجها في غربة، أحداث العراق و دمارها التي زرعت فيها النقمة علي أمريكا و علي أمة العرب.

الكلمات الدلالية: أحلام مستغانمي، قلوبهم معنا و قنابلهم علينا، التحليل النفسي، أميركا

Abstract:

studies about psychological review of literary texts insist on the relationship between a scholar's inner ,mental states and their work and reveals the internal intentions in the backend of the scholar .There are many psychological factors that have had significant impacts on Ahlam Mosteghanemi's life, creating hopelessness, despair, and fear of deterioration in the future which planted hostility and hatred in her heart.

We notice that Ahlam Mosteghanemi in her book entitled Their Hearts Are with Us and Their Bombs Are against Us has portrayed the social and political reality of the world and Arab countries, especially Iraq, and is shouting continuously , explicitly, and bravely to deliver her voice to the world and Arab countries; she also instigates them to up rise against the United States through her strident voice, and anger, pain, hatred, and despair can be smelled from her voice and words.

She exaggerates while ridicule in gaud and mocking and her indulgence shadows her moods and makes her nerves disturbed. Writing with mockery is one of the ways she uses to try to quench her inner thirst and hatred. Her mocking reaches ugly curses. Then she attacks Bush and his family's reputation by ugly, immoral words ,causing the reader's aversion of her writings.

This article tries to analyze the depth of Ahlam Mosteghanemi's psycho and mind that lead to enmity, hatred, and insults in her speech .The most obvious thing about her is that there is no doubt about her psychological imbalances the signs and representations of which we see in each line of her papers, endowing the reader with the certainty about her neurosis and mental problems.

Key words : Ahlam Mosteghanemi , Their Hearts Are with Us , Enemy , psychological analysis , America .

١. المقدمة:

العلاقة بين الأدب و النفس علاقة لا ينكرها أحد و لا يحتاج إلي الإثبات في زماننا هذا و العلاقة بينهما علاقة تأثير و تأثر. التحليل النفسي للأدب برز مع فرويد الذي درس أعمال المبدعين و بعده ازدادت الدراسات النفسية للأدب. « إن استخدام «علم النفس» و ما وصلت إليه الدراسات من نظريات مرسومة، و قواعد محدودة، و طرائق خاصة، لفهم الأدب و نقده هي أشياء مستحدثة بلا جدال، والذين حاولوا عندنا أن ينتفعوا بها قد استمدوها من الغرب فعلاً، ولم يكن لها - علي هذا الوضع - أصول في ثقافتنا العربية. اما تدخل « الملاحظات النفسية» بصفة عامة في فهم الأدب و نقده، فهي أقدم من ذلك في الأدب العربي، لأنها عاصر صدر الإسلام- إن لم يكن قبل ذلك- و تمشت معه في نموه حتي بدت في هيئة قواعد و نظريات- علي يدي عبد القاهر- في القرن الخامس الهجري». (سيد قطب؛ ٢٠٠٣: ٢١٨). النقد ليس في زمننا الراهن هو تقييم النص و الحكم عليه أدبياً و فنياً، فقد تحول النقد إلي حد كبير عن العصور القديمة و ينظر إلي العمل الأدبي بزواياه المختلفة «بما أن كل إنسان له استعداد خاص في الفهم و طريق خاص في الإدراك و ذوق خاص في تقييم الكلام و الحكم عليه و بما أن النقد يختلف عن غيره من العلوم و يتعدّد بتعدّد الموضوعات و الأغراض و لا يثبت علي حالة واحدة، فلذلك تعددت الاتجاهات النقدية في العصر الحديث حسب تعدد المواهب و الأذواق و الطبائع» (صابري؛ ١٣٩٠: ١٤٣)

الدراسات النقدية النفسية للنصوص الأدبية تبين العلاقة المتبادلة بين الحالة النفسية للأديب و إبداعه المنتج وكتشف من خلالها نيات و مكونات نابغة من نفس الأديب. ومن الممكن أن يكون في العمل الأدبي قضايا و أزمت مكبوتة، و التحليل النفسي قادر علي كشفها. «العنصر النفسي أصيل بارز في العمل الأدبي. فإذا نحن تجاوزنا دلالة العنوان إلي صميم العمل الأدبي، لمسنا العنصر النفسي بارزاً في كل مراحل، فالعمل الأدبي هو استجابة معينة لمؤثرات خاصة، وهو بهذا الوصف عمل صادر عن مجموعة القوي النفسية، و نشاط ممثل للحياة النفسية». (سيد قطب؛ ٢٠٠٣: ٢٠٧)

كل منهج يسعى الغور في جانب من جوانب الأدب الشتي و يجب بأسئلة تطرح و تدور حولها « والمنهج النفسي هو الذي يتكفل بالإجابة علي الاسئلة التالية: كيف تتم

عملية الخلق الأدبي؟ ما هي طبيعة هذه العملية من الوجهة النفسية؟ كم من هذه العناصر ذاتي كامن في النفس، وكم منها طارئ من الخارج؟ ما الخوافز الداخلية و الخارجية لعملية الخلق الأدبي؟ ما دلالة العمل الأدبي علي نفسية صاحبه؟ هل نستطيع من خلال الدراسة النفسية للعمل الأدبي أن نستقري التطورات النفسية لصاحبه؟ (المصدر السابق: ٢١٦). أحلام مستغانمي أدبية تكتب وتعبر بأسلوب أدبي راق وتلفت الأنظار بشخصيتها القوية الصريحة التي تنقد وتتطرق عبر عدة مقالات إلى الحديث عن أميركا والصراع القائم مع العرب، والحرب التي شنتها على العراق باسم الديمقراطية والحرية، و عن حالة السبات التي تعيشها الشعوب العربية وحكامها و التي تنتهي إلي إهانات متكررة من قبل أميركا باسم الديمقراطية في البلدان العربية و خاصة العراق.

يحاول هذا المقال أن يكشف من خلال الدراسة النفسية و علي أساس حياة أحلام مستغانمي و العمل الأدبي، الخوافز الباطنية و الخارجية التي أدت إلي كتابة مقالاتها في صحيفة زهرة الخليج و هاجمت بكلماتها اللاذعة علي بوش و أسرته و عابه بأقبح المسميات. أما بما أن أحلام كانت كاتبة حية وتعيش حالياً في لبنان، لم يدرس اي كتاب تاريخي ترجمة حياتها فلا بد لنا الرجوع إلي المواقع للتعرف علي سيرتها للاجتناب عن آراء غير جازمة عنها ؛ هناك مقال واحد عن نوال بن صالح تحت عنوان «مرارة السخرية في قلوبهم معنا و قنابلهم علينا» يتطرق فيه عن معني السخرية و أهدافها فلم تدرس دراسة نفسية عنها لتجعلها في ميزان النقد وهذه هي أول دراسة في هذا المجال.

القراءة النفسية للنصوص الأدبية هي إحدى أنواع القراءات المتعددة. كل نوع من القراءات ، تختص بأدواتها و اسلوبها في النقد، لكن بالرغم من ذلك نجد تداخلات و اشتراكات في كل من منظومات القراءة. وهذا أمر مهم يلفت الإنتباه على أن كل نوع من القراءة لها خصوصيتها و حدودها الفاصلة عن غيرها ، و أيضا لها تداخلات و اشتراكات مع القراءات الأخرى. اذاً نستطيع أن نقول أن القراءة النفسية لها حدودها و أدواتها الخاصة التي تميزها عن غيرها. لكن بصورة عامة هي من ضمن القراءات المتعددة و تتشارك و تتداخل مع غيرها و هذا ما يتبلور في التفاعل بين أكثر من إتجاه نقدي. التداخل بين القراءات أمر تفره طبيعة التفاعل بين اتجاهين نقديين أو أكثر. المهم في كل ذلك ، أن تكون القراءة النفسية قادرة على ما يلي:

-أن تصغيعنا و تبصرنا بعالم النص

-أن تقدم لنا استجابة متفاعلة معه

-أن تكشف عن مكونات النص

يتمحور هذا البحث على هذه الركائز و الأهداف فضلا عن غيرها التي تتمثل في إيجاد روابط نقدية بين مساعي أصحابها لرؤية نفسية أكبر للنص وذلك باستخدام أدواتهم النفسية المتقنة و اجتهادهم لتقديم رؤية مختلفة للنص.

القراءة النفسية في المفهوم و الاصطلاح:

يتناول هذا البحث مفهوم القراءة النفسية للنص الأدبي العربي ، و ينظر الي البحوث النفسية للعلماء في تحليل و دراسة المكونات ذات النص ، غير آبه بالقضايا الأخرى التي لم تلامس النص من داخله ، ويني فهمنا للاصطلاح المتوخي في هذه الدراسة على دعامتين أساسيتين هما : " القراءة " و " النفسية " وسنفصل الشرح عنهما لتحديد الغاية من ذلك.

أ- القراءة

النص و المتلقي تربطهما علاقة محتومة، هذه العلاقة مبتنية على التأثير والتأثر ، أو ما يعرف بالإستجابة، في كل المناهج النقدية ،سؤال يطرح نفسه: كيف يقرأ النص ؟ وفي هذا السؤال نابع من النظر إلى أهمية المضمون في النص ، لأنه ذو أوجه ودلالات متعددة ، بهدف الوصول إلى المقصود . وقد شاعت "عمليات القراءة" في كتابات اهل البحث و النقد ، وظهرت آراء (فولفجانج إيزر) المهمة في التلقي ، والذي يرى أن عندما يبدع الكاتب و المؤلف في الأدب ، غايته القارئ و مهمة الناقد الأدبي ، هي إظهار ما يبقى في عملية القراءة ذاتها و الكشف عن التأثير و التأثر أو كما أسلفنا الإستجابة لدى القارئ المميز من فهمه للنص .

من يتابع آراء (إيزر) يفهم أن القراءة هي وجهتين متداخلتين: من النص إلي المتلقي و من المتلقي الى النص ، وهذا الفهم هو الأساس المهم في القراءة والإستجابة ، وعلى هذا الأساس ، "يكون النص ناشطا و محركا لقدراتنا ويجعلنا قادرين من إعادة خلق العالم الذي يخلقه" (١٩٨٨ : ١٤٧) . ولا ننسى وجود الصعوبات و المطبات في موضوع استجابة المتلقي للنص حسب الادوات النقدية في كل منهج و يصعب على الناقد ،

أظهر التفاعل في تلك الاستجابة ، لأن ما يحصل عليه النقد الأدبي هي مجموعة من الخطوط الموجهة لكن بالنسبة للنص و القارئ، يتم التواصل بينهما و لهذا يسهل تحليل هذه العملية لديهما، و على هذا الأساس ،القراءة تحتوي عدة قضايا منها : (التلقي) و (التأثير) ، هاتان تعتبران من أهم القضايا المحورية في القراءة و ما كان اعتبارها شاملة لولا تضافر المناهج المعرفية (الابدستولوجية) والنقدية ، كالبنيوية واللسانية والسيميائية السيكلولوجية ، إضافة إلى أبعاد السيكلولوجية : كالسبر والتحليل والتفسير وغير ذلك إن مسار البحث في عملية (القراءة) يتطور ليصبح متابعة متقنة، و القارئ هو مركز هذا البحث و يكون المتلقي أهم عنصر في صنع النص الأدبي و يسبب تجديد مسار القراءة في مكوناته فأحيانا يتقاطع - السيكلولوجي والاجتماعي والسيميائي وغير ذلك . إن عملية (القراءة) للمتلقي ، هي عملية فاعلة و نشطة و مستمرة في الكشف، إنما العنصر الجاذب في العملية ،هو النص الأدبي القارئ يدخل العملية حاملا معه ، مجموعة معلوماتية مسبقة و صورة غير واضحة من قناعاته و توقعاته التي على اساسها يقوم بتقويم خصائص العمل المتنوعة ، و يقوم باختيار عناصره و تصنيفهم علي فئات كلية متصلة ،بعضها تقدم و تؤخر البعض .يجب التذكير أن مصطلح (القراءة) لا يقف عند الدلالات المشتبه بل أصبح عنوانا للجهد و السعي و الإبداع في الكتابة و الغوص في النص ،لكشف ما فيه من خفايا و تبين الزوايا الواسعة على التأويلات و كشف الغبار عن الكثير مما يحمله النص من معان لم يتم ايضاحها ، اذاً على القارئ الفطن أن يستجيب لإستغاثة النص. هنا نواجه مسألة هامة:هل بإمكان أي قراءة الدخول إلى عالم النص؟

للحصول على الإجابة، نرى أن الباحثين يعتقدون بطريقتين لحل المسألة: الطريقة الأولى تنظر الى كيفية القراءة ، إنما الثانية فتبحث في مفاهيم النص ذاته. فإذا اردنا تحليل النص يجب أن ندرس كيفية قراءته . إن دراسة كيفية القراءة يمكن أن تفرض بعضا من خصائصها المميزة على نظريات التلقي ، لكن البحث في محتوى مضمون القراءة،غالبا يأخذنا إلى البحث في معاني النص. و هذا يتسبب بمواقف متباعدة للمناهج النقدية و ينتج هذا بالتداخل في أدواتها وعندها لابد من تحديد منطلقات القراءة.

قبل الانتقال إلى الدعامة الثانية، هنا نكون مجبرين بالإشارة إلى حصول بعض التداخل بتحديد هذا المفهوم، وذلك عندما اعتبرت معاجم المصطلحات الأدبية والنقدية، القراءة شكلاً من تأويل النص، وعدت التأويل على أنه "تفسير ما في النص من غموض"، وكذلك كان الأمر في مصطلحات المعجميين العرب الذين اهتموا بالقراءة: "التفسير، والتبليغ، والفهم"، ولم تختار دلالات اصطلاحية تطابق ما نراه في الدراسات المعاصرة، وهذا يتعلق بكيفية تطور المفاهيم، وكثرة المصطلحات وتنوعها.

ب- النفسية

مع اتساع مصطلح "القراءة" بمفاهيمه العديدة، صار من الممكن الحديث -منهجياً- عن الطرف الذي يتعرف على النص، وهو الملتقي، وغدا القارئ شريكاً في إنتاج النص، انطلاقاً من تأويله وتحليله. وإذا كان الأثر السيكلولوجي صريحاً في التلقي، فإن القراءة النفسية تستشرف الجوانب المكونة للنص، من قضايا اللاشعور والكبت والغرائز والموضوعات النفسية الأخرى، مما يعني أن تحليل النص نفسياً هو قراءة تعيده إلى تكوينه النفسي. ومع أن القراءة النفسية تلامس المستوى النفسي، وتغفل بعض المستويات الأخرى؛ ألا أن هذه الملامسة قائمة أساساً على جملة من المنظومات النفسية المثقنة، وهي عملية تستدعي الاحتراز والدقة المناسبين.

ولا يستطيع القارئ النفسي أن يخمن مسبقاً المؤثرات المرجعية التي يمكن أن يعتمد عليها في أثناء القراءة؛ إذ إن اللاوعي يقوم بالقراءة اعتماداً على نفسه من جهة، واستناداً إلى خبرات مثقنة من جهة أخرى، فيدخل إلى عالم النص الذي هو نسيج من الرموز والدلالات المتمركزة في لاشعوره، وفي نظام من التكثيف اللغوي المكون للنص. إن العلاقة بين التحليل النفسي والأدب علاقة عضوية، باعتبار أن التحليل النفسي للأدب يكشف عن اللاوعي في الأخير، وأن الأدب يسلط الضوء عن المكونات النفسية، وكلاهما مفيد للآخر بحيث يساهم في فهم العلاقات الناشئة بينهما منذ لحظة الإبداع.

ومما لا شك فيه أن أهم شيء في تلك العلاقة هي الصلات الخفية بين الرغبات والدوافع اللاشعورية واللغة، ولهذا أصبحت المقولات النفسية التي طرحها "فرويد" أساساً للتحليل النفسي، وذلك استناداً إلى فرضياته التي رأى فيها أن الرغبات المكبوتة أساسية في تكوين شخصية الأديب، وظن أن "عقدة أوديب" -مثلاً- هي منطلق مهم في

فهم الأعمال الإبداعية، ورآها مبطنّة في ثلاثة أعمال أدبية خالدة هي: فق "الملك أوديب" لسوفوكليس، "هاملت" لشكسبير و "الأخوة كارامازوف" لدوستوفسكي، وتتبع قضايا اللاشعور في الإبداع محاولاً الكشف عن شخصية المؤلف في الوقت نفسه.

وقد أصبح التحليل النفسي أرضاً خصبة لدراسة الحلم والسيرورات "النفسية اللاشعورية" (إبراهيم، ١٩٩٨: ٢٠١)، إضافة إلى قضايا الليبدو والترجسية، وغيرها من الموضوعات التي أثراها "آدلر" و"يونغ" في التحليل النفسي، مما أسهم في تفعيل منطلقات القراءة السيكلوجية. وتطورت المقولات النفسية وتجاوزت تحليل الشخصية الأدبية، ودخلت في ميدان ما يسمى "لاشعور النص" (بيلمان نويل، ١٩٩٧: ١٠)، واستجدت مقولات أخرى، كمقولات "جاك لاكان" الذي يعد من أبرز مطوري التحليل النفسي الفرويدي، وذلك حين أقام الصلات بين الدال والمدلول والعلوم اللسانية من جهة، وبين أنساق ما قبل الشعوري من جهة أخرى، وذلك في مقولته التي اهتم فيها بالدلالات الرمزية وتبادلاتها في النص، وسماها "سلسلة الدال والمدلول" (إسماعيل، ١٩٦٣: ١)، وهي تلتقي مع أدوات السيميائية في قضية الإشارات والعلامات النصية.

وقد شاركت العلوم النفسية في تحليل دراسة الأدب، وهي إضافات هامة على مستوى تتبع صيرورة النقد النفسي، ومن أهمها: علم نفس اللغة، و علم نفس الإبداع، و علم النفس الأدبي، و علم نفس الأدب، وغيرها. إن الباحث في مسيرة الاتجاه النفسي في النقد، يرى أنه يتكون من أقانيم مختلفة، إذ أنه استهدف تحليل الشخصيات في بداية الأمر، ثم تناول علاقة شخصية الأديب بإبداعه، وانطلق بعد ذلك إلى "استجابة القارئ للنص وتفضيلاته الأدبية" (لاكان، ١٩٩٩: ٩)، وتتبعها الدراسات السيكلوجية للأجناس الأدبية ذاتها.

ويمكننا أن نشير إلى تقسيم الدراسات النفسية الحديثة في النقد في ما يلي:

- ١- دراسة الشخصيات الأدبية، مثل: الشخصيات التراثية (كدراسات المازني والنويهي وغيرهم)، والشخصيات المعاصرة (كدراسات أنور المعداوي، و خريستو نجم وآخرين)، والشخصيات الفنية المتخيلة في النص الأدبي (كدراسات عز الدين إسماعيل، وجورج طرابيشي، وحميد الحمداني وغيرهم).

٢- دراسة سيكولوجية الإبداع الأدبي في الشعر والرواية والقصة والمسرح، كما في بحوث (حامد عبد القادر، ومصطفى سويف، وسامي الدروبي، ومصري عبد الحميد حنورة، وشاكر عبد الحميد وغيرهم).

٣- تفسير الظواهر الفنية والمعنوية أمثال: الطفل، والنسيب، والغزل العذري، والحلم، والرمز، والأسطورة، وذلك في دراسات (عز الدين إسماعيل، ويوسف سامي يوسف، وعلي البطل، ومصطفى ناصف، وشاكر عبد الحميد وغيرهم).

٢. مستغانمي ومراحل حياتها:

ولدت أحلام سنة ١٩٥٣، وهي الابنة البكر لعائلة جزائرية من مدينة قسنطينية. والدها «محمد الشريف» أحد ثوار المقاومة الجزائرية، عرف السجون الفرنسية بسبب مشاركته في مظاهرات ٨ ماي ١٩٤٥. وبعد أن أطلق سراحه سنة ١٩٤٧م كان قد فقد عمله بالبلدية، ومع ذلك فإنه يعتبر محظوظاً إذ لم يلق حتفه مع من مات آنذاك -٤٥ ألف شهيد سقطوا خلال تلك المظاهرات-، ثم أصبح ملاحقاً من قبل الشرطة الفرنسية، بسبب نشاطه السياسي بعد حلّ حزب الشعب الجزائري، والذي أدى إلى ولادة ما هو أكثر أهمية وخطراً: حزب جبهة التحرير الوطني FLN. أمه فاطمة الزهراء تكلت كل إخوته في مظاهرات ١٩٤٥، وكانت تعيش في ظلال الخشية من أن تفقد آخر أبنائها. هذه المأساة، لم تكن مصيراً لأسرة المستغانمي فقط، بل لكل الجزائري من خلال ملايين العائلات التي وجدت نفسها ممزقة تحت وطأة الدمار الذي خلفه الإستعمار. بعد أشهر قليلة، توجه محمد الشريف مع أمه وزوجته وأحزانه إلى تونس طلباً للأمن. في هذه الظروف التي كانت تحمل مخاض الثورة، وإرهاصات الأولى تولد أحلام في تونس. ولكي تعيش أسرتها، يضطر الوالد للعمل كمدرس للغة الفرنسية. لأنه لا يملك تأهيلاً غير تلك اللغة، لذلك، سوف يبذل الأب كل ما بوسعه بعد ذلك، لتتعلم ابنته اللغة العربية التي منع هو من تعلمها. وبالإضافة إلى عمله، ناضل محمد الشريف في حزب الدستور التونسي محافظاً بذلك على نشاطه النضالي المغاربي ضد الإستعمار و كان

منزله مركزاً يلتقي فيه المجاهدون الذين سيلتحقون بالجال، أو العائدين للمعالجة في تونس من الإصابات. وهكذا نشأت ابنته الكبرى في بيئة عائلية يلعب الأب فيها دوراً أساسياً وكانت مقربة كثيراً من أبيها وخالها عز الدين الضابط في جيش. التحرير الذي كان كأخيها الأكبر. وعبر هاتين الشخصيتين، عاشت كل المؤثرات التي تطرأ على الساحة السياسية. والتي كشفت لها عن بعد أعمق للجرح الجزائري. اختار والدها لها اللغة العربية. تتعلمها كلغة أساس لتأثر له بها، فكانت أحلام مع أول فوج للبنات يتابع تعليمه في مدرسة الثعالبية، أولى مدرسة معربة للبنات في العاصمة. وتنتقل منها إلى ثانوية عائشة أم المؤمنين لتتخرج سنة ١٩٧١ من كلية الآداب في الجزائر ضمن أول دفعة معربة تتخرج بعد الإستقلال من جامعات الجزائر. وقد أكملت تعليمها حتى نالت شهادة الدكتوراه من جامعة السوربون في فرنسا، وفي سنة ١٩٦٧ وإثر انقلاب بومدين واعتقال الرئيس أحمد بن بلة. وقع الأب مريضاً نتيجة للخلافات القبلية والانقلابات السياسية التي أصبح فيها رفاق الأمس ألد الأعداء. هذه الأزمة النفسية، أو الانهيار العصبي الذي أصابه، جعله يفقد صوابه في بعض الأحيان. خاصة بعد تعرضه لمحاولة اغتيال، مما أدى إلى الإقامة من حين لآخر في مصح عقلي تابع للجيش الوطني الشعبي. ولذا خلال ثلاث سنوات كانت أحلام تعد وتقدم برنامجاً يومياً في الإذاعة الجزائرية يث في ساعة متأخرة من المساء تحت عنوان «همسات». وقد لاقت تلك «الوشوشات» الشعرية نجاحاً كبيراً تجاوز الحدود الجزائرية إلى دول المغرب العربي. وساهمت في ميلاد اسم أحلام مستغانمي الشعري، الذي وجد له سنداً في صوتها الإذاعي المميز وفي مقالات وقصائد كانت تنشرها أحلام في الصحافة الجزائرية. أصدرت أول ديوان سنة ١٩٧١ في الجزائر تحت عنوان «على مرفأ الأيام». بعد منتصف السبعينات هاجرت أحلام مستغانمي إلى فرنسا، تزوجت من صحفي لبناني، وتفرغت حينها لعائلتها وغابت مدة عن الساحة الأدبية العربية. في بداية الثمانينات كان قرارها في العودة مجدداً إلى الكتابة فشاركت في

مجلة «الحوار» التي كان يصدرها زوجها من باريس ومجلة «التضامن» التي كانت تصدر من لندن، وفي ذلك الوقت حصلت على شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع من جامعة السوربون . و في عام ١٩٩٣ م بدأ إصدارها للثلاثية الحدث بدءاً بـ «ذاكرة الجسد» وكانت بها أول امرأة جزائرية تؤلف رواية باللغة العربية ... تبعها «فوضى الحواس» ١٩٩٧م و«عابر سرير» ٢٠٠٠م . (الموقع الإلكتروني: www.mosteghanemi.net)

٣. كتاب قلوبهم معنا وقنابلهم علينا :

هذا الكتاب مقالات في أربعة أبواب، يتعلق الباب الأول تحت عنوان «شوف بوش بقى واتعلم»، بوش الذي دخل العراق، يطرح في الباب الثاني مسألة «العراقي هذا الكريم المهان»، وفيه حديث عن مصير علماء العراق، ومهانة أمة عاجزة حتى عن حماية علمائها، بعد أن وجدوا أنفسهم أول المستهدفين، وأول رمز عربي تصرّ أميركا على إزالته. الباب الثالث مقالة تحت عنوان «خالتي أميركا» التي اعتادت، عندما يتعلق الأمر بالشعوب الأخرى، ألا تفرّق بين القبل والقنابل، أما الباب الرابع فيحمل عنوان «تصبحون على خير يا عرب». فأمركا تحتلّ حيزاً كبيراً في ذاكرة أحلام الغاضبة المتألّمة كما تقول: «إنّ قسماً كبيراً من هذا الكتاب خصّصته للتهكم من «بوش الصغير»، لا أستطيع أن أمنع نفسي من تزويدكم بآخر ما قرأت عنه من أخبار (مستغانمي؛ ٢٠١٠: ٨)

المحفز الرئيس لمقالات أحلام يكمن في الألم الذي ذكرته في مقدمة الكتاب: «بعض هذه المقالات بكيّت وأنا أعيد قراءتها، وبعضها ضحكت ملء قلبي كأنني لست من كتبها. و بحسب مقياس هذه الأحاسيس المتطرّفة، ارتأيت أنها تستحقّ منكم القراءة. لا أعتبر هذه المقالات أدباً، بل ألماً داريته حيناً بالسخرية، و انفضحت به غالباً، عندما تعدّت الإهانة الجرعة المسموح بها لقلب عربي يعاني الأنفة» (مستغانمي؛ ٢٠١٠: ٧)

إنّ أحلام تعذبها هموم ومشاكل حقيقية و روحية مستورة في داخلها و في خارجها وترغمها علي كتابة هذه المقالات في الصحف. استعمال لفظ «انفضحت» بمعني «انكشاف المساوي» دليل واضح علي الآلام والمشاكل الروحية التي تحرّقها باطنياً و تهدف أن تثار بكل شيء أذاها طوال حياتها. «تعمل الغرائز وفقاً لمبدأ اللذة. فليس الدافع الغريزي في الواقع إلّا ناتجاً عن حالة من التوتر ينتج عنها إحساس بالألم. ويدفع

الدافع الغريزي إلي خفض هذا التوتر أو إزالته، وحينما ينخفض هذا التوتر أو يزول يحدث الشعور باللذة. واتخذ فرويد من مبدأ اللذة يفسر به الظواهر النفسية المختلفة كما يفسر به الأعراض العصابية. فليست الأعراض في نهاية الأمر إلّا محاولات بديلة أو حلول توفيقية تهدف إلي التخلص من التوتر وتجنب الألم» (نجاتي: ١٩٨٢: ١٨)

٤. السلوك العدواني وأثره علي أفكار أحلام

من الضروري التمييز بين العدوانية و السلوك العدواني، و توضيح العلاقة بينهما، إذا كانت العدوانية إحساسات نفسية باطنية، فإن السلوكات العدوانية هي التعبير المادي الخارجي و المباشر لهذه العدوانية الكامنة، والتي تهدف إلي إلحاق الأذى و تدمير الغير. إن العدوان ناجم عن الإحباط أو هو مظهر لغريزة الموت في مقابل اليبس و كمظهر لغريزة الحياة، وهو بذلك مكوّن اساسي للدفاعات الغريزية الأولية، يري فرويد «أن العدوان في العادة نتيجة إحباط سابق، فالإحباط يؤدي عادة لا دائماً إلي العدوان». (عيسوي: ١٩٨٤: ٧٩)

تختلف أسباب العدوانية ولكن مما لا شك فيه إن السلوك العدواني شيء اكتسابي و يتكون خلال السنوات الأولى من العمر. «يختلف الانفعالات باختلاف المواقف التي تستثيرها. فبعض المواقف قد تستدعي انفعالات الغضب، وأخري الخوف. من الواضح إذن أننا نتعلم أن نستجيب بانفعالات معينة حيال مواقف خاصة ذات معني معين. فالغضب هو الانفعال الذي يستجيب به الفرد نحو المواقف التي تسبب له الإهانة. والبهجة هو الانفعال الذي تجربه حينما نحقق هدفنا من الأهداف. وتتملكنا انفعالات الحزن و الأسى لموت صديق حميم. كل هذه الانواع من الاستجابات الانفعالية يكتسبها الفرد في سياق عملية تعلم الأساليب المقررة للسلوك في مجتمع من المجتمعات» (منصور: ٢٠٠٣: ١٥١-١٥٠)

نري أن نضال أبي أحلام في الجزائر لتحرير البلاد من هيمنة فرنسا قد نشأ في طفولتها وفي باطنها العداوة و الحقد ضد المستعمرين الغربيين: «وجود نماذج مشجعة من للعدوان داخل الأسرة، الحاجة لحماية الذات والدفاع عنها في مواجهة العدوان الخارجي. هناك ثلاثة مظاهر تؤدي إلي ظهور نماذج السلوكية للفرد، والتي تدعم السلوك العدواني: «العائلة، الثقافة الفرعية الموجودة في المجتمع، وسائل الإعلام

المختلفة». فالعائلة: نقصد بذلك نموذج الأب بالنسبة للطفل، فهو يجد لنفسه نموذجاً سلوكياً موحداً أو متقارباً مع شخصية الأب، هذا من جهة و من جهة أخرى فإن أسلوب الأسرة في التعامل مع الطفل من حيث تسامحها المتكرر لعدوانيته تثير فيه الرغبة في السلوك العدواني» (سيدعبدالله: ٢٠٠٠: ٢٠٨). و نري أن أحلام كما تصرّح في مقابلاتها في المواقع الالكترونية بأن «الرواية هي مفتاح الغرف الممنوعة» فتبين بعض ذكرياتها عن ايام طفولتها «هل أقرأ كتابك لأعرف كيف تحولت تلك الطفلة الصغيرة إلي امرأة؟ ولكنني أعرف مسبقاً أنك لم تكتبي عن طفولتك.. ولا عن سنواتك الأولى. أنت تمثين ثقب الذكرة الفارغة بالكلمات فقط، وتتجاوزين الجراح بالكذب، وربما كان هذا سرّ تعلّقك بي؛ أنا الذي أعرف الحلقة المفقودة من عمرك، و أعرف ذلك الأب الذي لم تريه سوي مرّات قليلة في حياتك..» (ذاكرة الجسد: ٢٠٠٠: ٤٣)

إن في أحلام عدوانية مكنونة و مكبوتة نراها في كلماتها الفاحشة المرمية إلي بوش و تتهمه بأقبح الألفاظ «يعتبر السلوك العدواني التعبير الخارجي للمشاعر العدوانية المكبوتة، فالعدوان سلوك انفعالي عنيف، تتجلى مظاهره في استعمال ألفاظ غير مؤدبة كالسب و الشتم و هو مايسمى بالعدوان اللفظي، وأشكال الضرب المختلفة و التعدي و المشاجرة، والتخريب والتدمير،..... و هو مايسمى بالعدوان الجسدي». (الهاشمي: ١٩٨٤: ٢٣١). يصل هجاء أحلام إلي درجة الهجاء الفاحش فتتناول أعراض بوش و أسرتة بألفاظ بذينة بعيدة عن الأخلاق وهذا النوع يجعل القارئ يشمئز منه. «لا تسألوني لماذا لا أحبّ بوش الأب، لا بوش الابن و لا بوش الأم. إذا كان لا بدّ أن أختار واحداً من آل بوش، فسأختار الكلبة بوش، تلك التي أثناء إقامتها في البيت الأبيض و بصفتها الكلبة الأولى اختارت أن تضع مواليدها في غرفة نوم الرئيس، ممّا جعل السيدة باربارة تخرج للملا فرحة و مرتبكة كأمّ العروس لتعلن للصحافة أنّها أصبحت جدّة لستّة كلاب صغار يتمتّعون جميعهم بصحة جيدة و أنّها حفاظاً علي راحتهم، وضعت زوجها خارج غرفة النوم الرئاسية!» (مستغانمي: ٢٠١٠: ١٣)، ثم تقول

بأنها عندما أرادت أن تنتخب بينهما، تنتخب الكلب - بصورة تعريضية - لتؤلم عدوها
إيلاماً «إنني أفضل علي صداقة آل بوش صداقة كلابهم، فكلب صديق أفضل من صديق
كلب». (المصدر السابق: ٣٠)

أما السلوك العدواني في علم النفس الاجتماعي «هو سلوك يقصد به المتعدّي إيذاء
الشخص الآخر، كما أنه نوع من السلوك الاجتماعي، يهدف إلي تحقيق رغبة صاخبة في
السيطرة و إيذاء الغير أو الذات، تعويضاً عن الحرمان أو بسبب الشيط (الشريني؛ ١٩٩٤:
٨). كل علماء النفس متفقون علي هذه الفكرة بأن الغرائز السلبية في الكبار تبدأ و
تتكون من الطفولية: «فالكراهية، والعدوانية، والحسد، والغيرة، والرغبة في التملك، جميع
هذه العواطف الذي يحس بها الراشد ويعبر عنها هي في الوقت نفسه مشتقات من هذه
التجربة البدائية... مهما يكن ممكناً أن تبدو هذه العواطف لدي الراشد عدوانية و
مقيدة، فهي ليست في الواقع، إلي حد من الحدود، سوي تعديلات و تسويات لا شعورية
لظواهرها علي صورة لا تزال أكثر بساطة و طبيعية». (كلاين؛ ١٩٩٣: ١٨)

فنري في تبويب كتابها قد جعلت أميركا في الباب الأول تحت عنوان «شوف بوش
بقي و اتعلم»، وهذا دليل علي حقدها المقيت لأميركا و سياساتها. تطغي العداوة علي
أحلام إلي درجة يختلط عندها الحزبان الموجودان في أميركا و تخطأ في نسبة الألقاب
إليهما «لا أدري من سينام في سريرته (الكلب) بعد ذلك؛ أذنب من الحزب الديمقراطي، أم
ثعلب من الجمهوري؟»

(مستغانمي؛ ٢٠١٠: ١٤)

ه. التهمك متاد الهجوم و الدفاع:

الكتابة المزوجة بالسخرية إحدي الطرق التي تستعملها أحلام لتشفي غليلها و
حقدها الداخلي. و ليس تهكم أحلام غير مباشرة و هدفها التشهير، بل وراء استهزائها
نقمة مكنونة و عداوة مستورة تصرّحها بصراحة و بأقبح صورة علي عدوها المنبوذ
واللدود و هو أميركا و خاصة بوش و أسرته حتي تسمية الباب الثالث تحت
عنوان «خالتي أميركا» دليل علي استهزاءها المر. يري « فرويد » أن الضحك الناجم

عن النكات التي يطلقها الناس يعدُّ نوعاً من التطهير». و غالباً ما كانت السخرية تشكل وسيلة تنفيس عن المشاكل و الهموم الضاغطة (عكاري: ١٩٩١: ٢٩)

تعرف أحلام الكتابة في «ذاكرة الجسد» علي أنها وسيلة تفرغ و أداة ترميم داخلي «عليك أن تختار ما هو أقرب إلي نفسك، وتجلس لتكتب دون قيود كل ما يدور في ذهنك. و لا تهم نوعية تلك الكتابة و لا مستواها الأدبي... المهم الكتابة في حد ذاتها كوسيلة تفرغ و أداة ترميم داخلي» (ذاكرة الجسد: ٢٠٠٠: ٦١-٦٠). فالسخرية نقد أو طعن مصوغ في ثوب فكه، إنها بديل مقبول للعقاب و هجوم متعمد علي شخص بهدف سلبه كل أسلحته و تعريته من كل ما يتحصن وراءه. (نوال: ٢٠١٠: ٣). لقد شكلت السخرية في مقالات أحلام مستغانمي نمطاً تعبيرياً مميزاً تحاول أن توقظ الضمير العالمي حيال سياسات أميركا المغربية و نفاق دعاياتهم الكاذبة ثم الأمة العربية و في النهاية حكام العرب المعتمدين علي الأميركي. نري أن أحلام تتعجب من شعارات و هتافات أميركيين و زعمائهم و تشوب دهشتها بدوار يذكرها بأكبر هجوم تاريخي يقض قلوب جميع الناس في أنحاء العالم: «تقول القوات الغازية إنها شنت عليه الحرب لا لغاية اقتصادية بل «لضرورة أخلاقية»! هو ما لم يدعه «هولاكو» يوم غزا بغداد، برغم أن الجرائم نفسها حدثت يوم دخلها علي ظهر بغلته» (مستغانمي: ٢٠١٠: ٥٥)

نري تهكمها الذي تدين به سياسات أميركا الاحتلالية و لاسيما احتلال العراق بذريعة تطهيره من الشرور و لرضا الله: «الأمريكيون الذين تركوا فردوسهم و جاؤونا طوعاً و نبلاً، في مهمة سماوية لتطهير العالم من الأشرار، لوجه الله، أذكي من أن ينزلوا إلي الشوارع ليحاربونا بجيوشهم. ستتوب عنهم القنابل الذكية، و المعارك التي تدار بحماسة و خفة ضمير من يلهو بلعبة إلكترونية» (السابق: ٤٦). في مقالة تحت عنوان «النعل بيتكلم عربي» هي تفرح برمي الحذاء الصحافي منتظر الزيدي حين خطابة بوش في مؤتمر صحافي: «صحيح أن ذلك الحذاء الطائر لم يصب وجه بوش، لكنه أصاب «واجهته» كنبى مبعوث رحمة للعالمين، و «واجهته» كرئيس لأقوي دولة في العالم. (المصدر السابق: ٢٦)

وتواصل باستهزائها الممزوج بمرارة الخيبة و الألم علة سمينة البنات الجزائريات: «حسب دراسة أميركية حديثة، أثبتت أن نسبة شحوم البطن و الردين قد

ترداد عند المرأة، مع ازدياد قلقها، مما يجعل عرضة للخطر؛ الأمر الذي أوصلني إلي استنتاج أن مصائب العرب كلها تعود إلي «أرداف الأمة العربية»، المثقلة منذ نصف قرن بقضايا «تسمم البدن»، و تضاعف بهم و الغبن. (السابق: ٨٢). في مقالة تحت عنوان «هزيمة الخنساء في مسابقة البكاء» تستفيد من أقوال الأدباء و العلماء و العظماء لتحرك مشاعر القراء وخاصة العرب وتستعزى بهم بأن العيش بهذه الصورة المرفوضة لا تجدره إلّا الحزن و القلق و البكاء، و العرب أجدر الناس بكاءً: «كنت أعتقد أن العرب دخلوا كتاب «غيتس» علي الأقل من باب النواح و العويل. فقد زود الله الانسان العربي دون غيره ببطارية شجون و هموم، جاهزة لإمداده بطاقة البكاء.. أياً كان السبب... قد قال الإمام علي (رضي الله عنه): لكل شيء زكاة و زكاة القلب الحزن» (المصدر السابق: ١٨٧)

٦. الضغوط النفسية و تأثيرها علي أحلام

إنّ الضغط هو حالة اضطراب في بعض الوظائف الفيزيولوجية و الوجدانية و الانفعالية لدي الفرد ، تحدث نتيجة تعرضه لمثيرات ضاغطة داخلية أو خارجية ، تحدّي طاقته للتأقلم و التكيف (عبدالله؛ ١٩٩٤: ٢١). اما تعريف عثمان فهو يعتبر «الضغوط بأنها تلك الظروف المرتبطة بالضبط و التوتر و الشدة الناتجة عن المتطلبات التي تستلزم نوعاً من إعادة التوافق عند الفرد و ما ينتج عن ذلك من آثار جسمية و نفسية ، و قد تنتج الضغوط كذلك من الصراع و الإحباط و الحرمان و القلق، وتفرض الضغوط علي الفرد متطلبات قد تكون فسيولوجية أو اجتماعية أو نفسية ، أو تجمع بين هذه المتغيرات الثلاثة، و رغم أن الضغوط جزء من حياتنا، إلّا أن مصادرها تختلف من شخص إلي آخر (عثمان؛ ٢٠٠١: ٩٦)

وعرف عبد المعطي «الضغوط النفسية بأنها تلك المثيرات الداخلية أو البيئية ، والتي تكون علي درجة من الشدة و الدوام بما يثقل القدرة التوافقية للفرد، والتي تؤدي في ظروف معينة إلي الاختلال الوظيفي و السلوكي» (عبدالمعطي؛ ٢٠٠٦: ٢٣). وإن كانت الدراسات النفسية لا تجزم في واقعيتها و في أحيان كثيرة تعتمد علي الفرضيات ولكن تقول أحلام بنفسها مرّات عديدة عن اختلال أعصابها و عدم صحتها عندما تشاهد بعض المشاهد و تفكر عنها «كنت حسمت أمري بمناسبة عيد ميلادي، وقررت، رفقا بما

بقي من صحتي وأعصابي، أن ألق عن مشاهدة التلفزيون، وأقاطع نشرات الأخبار، و ذهبت حتي إلقاء ما جمعت من أرشيف عن حرب العراق... حدث أن خفت أن أفقد عقلي، أو أفقد قدرتي علي ضياغة فكرة....زوجي الذي لاحظ علي بوادر اكتئاب، لعدم مغادرتي مكتبي لأيام، نصحني بمزاولة الرياضة، و زيارة النادي المجاور تماماً لبيتي...» (مستغانمي؛ ٢٠١٠: ٢١١)

القلق والخوف تعتبر شيئاً طبيعياً في حياة الإنسان ولكن عندما تصبح مشاعر الخوف والقلق شيئاً دائماً في حياة الإنسان اليومية وتزداد حدتها الى درجة يؤثر تأثيراً سلبياً على قدرة الإنسان و القيام بوظائفه اليومية بصورة طبيعية فانها علامة تدل علي القلق النفسي . يعتبر القلق أكثر حالات العصاب شيوعاً في العصر الحالي. والقلق يشبه الخوف و يختلف عنه، فهو يشبه في أنه يهدد كيان الفرد. و يختلف عنه في أن الخوف يكون غالباً من مصدر معين في العالم الخارجي يهدد كيان الفرد الذي يكون واعياً به، أما القلق في أكثر حالاته فإنه شعور غامض بالتهديد من شيء غير واضح المعالم في العالم الخارجي. (منصور: ٢٠٠٣: ٣٧٤)

في نهاية المقالات تقول نفسها بصراحة عما يؤذيها و تسبب اختلال اعصابها و قلقها الدائم: «لدي رغبة في البكاء أعاجزون نحن حتي عن إنجاز علم عربي موحد... نرفعه جميعنا لنقول للعالم إننا لسنا أذلاء... لا أغبياء؟» (مستغانمي؛ ٢٠١٠: ٢٢٧). المقاطعة للبضائع الأميركية هي أفضل الحلول التي اقترحتها أحلام إلي الدول العربية لتخفيض قلقها «أشهرها علم المقاطعة... لا يستطيع أحد ركوب ظهره إلّا إذا كان منحياً... فما جدوي الهتافات، و حرق الأعلام الأميركية لأكبر عملية السطو، شرّعت لها دولة في التاريخ، لنهب دولة أخرى» (المصدر السابق: ٢٢٣)

٧. الواقعيات الخارجية و الدعوة إلي الاستيقاظ

تحتل أعصاب أحلام حين تشاهد نشرات الأخبار من القنوات المختلفة فتعتقد بأنه لا فرق بين مصير جميع الدول العربية في الزمن الراهن «يكاد المرء يفقد صوابه، وهو يتابع نشرات الأخبار. لا يدري إن كان يشاهد العراق أم فلسطين؟ الفلوجة أم حنين؟ لا يدري من تتلمذ علي يد الآخر: أميركا أم إسرائيل؟» (المصدر السابق: ٧٠)

التنكر للاسم اغتيال معنوي في العراق و يرغم العراقيين علي تغيير اسمائهم و هويتهم و يسبب طغيان غضب أحلام علي الأميركيين المحتلين «القتل علي الهوية، و القتل علي الاسم، مصيبة أخرى من مصائب العراق» «الجديد» الذي يشبه ابناه. و ما انفك في إطار الدمار الممنهج، يغير ماضيه و يتنكر له.... الأمر ليس بدعة؛ فقد لجأ الكثيرون إليها في عهد الرئيس الراحل صدام حسين» (السابق: ٩٠). و تستهزئ أحلام بسياسة أميركا و كيلها بمكايلين تجاه العراق: «كان حديثنا يومها عن مصير علماء العراق، و مهانة أمة عاجزة حتي عن حماية علماءها، بعد أن وجدوا أنفسهم أول المستهدفين، أول رمز عربي تصرّ أميركا علي إزالته، حتي لتكاد تصدر قراراً من مجلس الأمن يجيز لها حق التفتيش، لا في بيوتهم فحسب، بل في رؤوسهم، فقد يكون في أحلام علماء العراق كوايس تقض مضاجع الانسانية، النائمة النائمة علي ملايين الرؤوس النووية الموزعة في إسرائيل و كوريا الشمالية و أكثر من دولة آسيوية لا أحد يري في ترسانتها خطراً علي البشرية. (المصدر السابق: ٣٦)

فلا يري العلماء لأنفسهم طريقاً من هذه الأزمة إلّا أن يصيروا عملاء أو شهداء:» العلماء العراقيون مخيرون اليوم بين أن يكونوا عملاء، أو شهداء. فالذي نجا منهم من مكائد «الموساد»، ولم يتم اغتياله ليس أمامه سوي أن يتنحر» (السابق: ٣٨). إنها ترسم في نهاية المطاف للقارئ رؤاها و تريد منه أن يستنتج ما يدور في بالها و تزين كلامها بألوان الأمثال الشعبية بقوة سواء في العناوين أم في النصوص و تتكى عليها لتقريبها إلي أذهانهم كي يقبلوها و أكدت من خلاله أنها غير منسحبة عن مواقفها و أن معركتها مع خصومها مستمرة: «في الواقع اختار بوش العراق للعبوة، ليحارب فيه جميع الأنظمة العربية العربية، علي طريقة المثل التونسي القائل «اضرب القطوسة.. تفهم العروسة» فالمعروف في الأعراس أن العريس وحده يدلّل و يبجلّ و أن «العريس يعرس و المشوم يتهرس» و هو مثل تونسي آخر» (السابق: ٥١)

و في مقالة تحت عنوان «جوراب الشرف العربي» ترسم للقارئ خطوطها الاعتقادية التي كانت و ستكون لتقنعه و تتمثل أمامه الوقائع المرّة التي قضت و يجدر التأمل إليها للعرب و قادتها في المستقبل: «أنا التي فاخرت دوماً، بكوني لم أصافح صدام يوم كان قاتلاً، ولا وطئت العراق في مرابد المديح و سوق شراء الذمم و إذلال الهمم، تمنيت لو

أخذتُ عنه ذلك الإناء الطافح بالذلّ، و غسّلت عنه جوراب الشرف العربي المعروض للفرجة. فما كان صدام يغسل ثيابه، بل أسمال عزّتنا» (السابق: ٨٠). ثمّ تنبّه القارئ بأنّ إعدام صدام يساوي إعدام العزة للأمة العربية «والله ما أعدموا سوانا! رجل أصبح نحن جميعاً.. كنّا نريد محاكمة تليق بجرائمه و أرادوا له محاكمة تليق بجرائمهم... اليوم و قد شنقوه و أهانوه لينالوا من عروبتنا و مابقي من عزّتنا، أشعر أنّ لي قرابة بهذا الرجل و أنّه لو قدر لي أن أزور العراق عندما يتحرّر من محتليّ سآزور قبره» (السابق: ٩٦). و نري آثار الخيبة و اليأس علي كتابة أحلام كلّما استنبطت أنّ حلولها للقارئ لا تنجوه من مرضه المزمن و هو النوم و الغفلة: «ليس في هذه الحياة ما يستأهل الإيقاظ من أجله» (المصدر السابق: ٨١).

٨. العلة الرئيسة لضغوطها النفسية

أحلام تعلن عن انزجارها لحكام العرب و و توقظ ضمائر القراء إلي الفرق بين الدول العربية و الدول الأخرى؛ لعلّها أرادت أن تبين بأنّ انتخاب عنوان الكتاب «قلوبهم معنا و قنابلهم علينا» ماكان فجائياً و إنّما الحكام هم العلة الرئيسة لاحتلال الدول العربية من جانب أمريكا: «شافيز يستقوي علي أميركا بشعبه و حكامنا يستقوون بأميركا علي شعوبهم، هذا هو الفرق» (المصدر السابق: ١٢٧).

ثمّ تستحثّ الناس الي التأمل و التفكير العميق إلي الفرق الفريق بين الدول العربية و بين أميركا التي تحسدها: «كنت أعتقد أنّ قوّة أميركا تكمن في هيمنة التكنولوجيا الأكثر تطوراً، والأسلحة الأكثر فتكاً، والبضائع الأكثر انتشاراً. لكنني اكتشفت أنّ كلّ هذه القوّة تستند بدءاً علي البحث العلمي وتقديس المؤسسات الأكاديمية، و احترام المبدعين و الباحثين و أساتذة الجامعيين. فاحترام المبدع و الفكر و العالم هنا لا يعادله إلّا احترام الضابط و العسكري لدينا» (السابق: ١٤٥). و عندما يطفأ غضب أحلام و تعزم - دون التعصب - علي التفكير المنطقي تري أنّ حرية التعبير و البيان شيئاً اعتيادياً في أميركا و الاميريكيون يحترمون العلماء و المفكرين رغم العداوة السياسة التي بينها و بينهم: «فعلي الرغم معاداتي السياسية الأميركية في العالم العربي،... فاجأني أنّ إشهادي لهذه الأفكار في أكثر من منبر لم يمنع أعمالي من أن تُعتمد للتدريس في جامعاتها، ولا أنا مُنعت من زيارتها... هنا يكمن الفرق بين أميركا و العالم العربي الذي أنا قادمة

منه»(السابق:١٤٦). ثم تبين علة النجاح الأميركيين و فشل بلادها العربية و تشنّ هجوماً عنيفاً عليهم و توبيخهم ينشأ بعض أنواع التفكير بعد التعرض لأحداث صادمة و يمكنها أن تؤدي إلي الإصابة باضطرابات الشدة التالية:«في أميركا اكتشفت ثقافة النجاح التي نفتقدها، و تربية النفوس علي التفوق. كنت أتأمل ذلك الرهط الغريب من الناس و هم يركضون، و لا يتوقفون إلّا لالتهام وجبة سريعة كيفما أتفق، و يعودون مسرعين إلي أعمالهم، بينما ننفق نصف نهارنا و أكثر في التفكير، و تدبير شؤون بطوننا، و النصف الآخر في النوم أو في تبادل الثروة، حتي إنني وجدت في عدم توقفهم عن العمل غباء و استخفافاً منهم بالحياة»(مستغانمي؛ ٢٠١٠: ١٥٩)

يعتبر الحدث الصادم الذي يحمل في طياته خطر الموت أو إصابات بالغة أو مشاهد مرعبة و غير ذلك؛ نقطة بداية واضحة تثير في الانسان حالة من الرعب و الخوف الشديد. يمكن أن تكون له عدة أشكال :كوارث حروب، الكوارث البيئية، فقدان الأقارب و الأعزّة...لقد تعددت مجموعة الاحداث الصادمة التي يتم معرفة أنواعها كالضغوط الشخصية وهي التي ترتبط بأحداث شخصية كالتيورط في مشاجرات أو الوقوع ضحية كارثة ما ، مما يجعل الشخص يحس بعدم قدرته علي مواجهة مواقف الحياة الضاغطة و التغلب عليها، فيبقى يعاني من صراع دائم مع نفسه. والضغوط البيئية و الثقافية كما تتمثل في الشعور بعدم الرضا عن الواقع الاجتماعي و الثقافي الذي يعيشه في بلده أو عدم الالتزام بأخلاقيات المجتمع و ثقافته. و كذلك العجز الاقتصادي و التكنولوجي و العسكري و السياسي للأمة.(سليمان:٢٠١٢: ٣٠)

النتائج:

- ١-الدراسات النفسية تتغاضي عن الوظيفة الفنية للأدب ولكن تكشف كثيراً من الحقائق النفسية والمكنونات و البواعث الداخلية والمكنونة للأديب في عمله الأدبي.
- ٢- رأينا أن أحلام في مقالاتها التي طبعتها في مجلة زهرة الخليج ، لم تستطع أن تنسي و تخلّص عداوتها لأميركا للحظة واحدة.وجعلت تكتب لتفرغ عداوتها و حقدتها المقيت للوصول إلي الطمأنينة و السكون.

٣- و الكتابة الممزوجة بالسخرية إحدي الطرق التي تستعملها لتشفي غليلها و حقددا الداخلي. تصل سخرية أحلام إلي درجة الهجاء الفاحش فتتناول أعراض بوش و أسرته بألفاظ بذئية بعيدة عن الأخلاق

٤- هناك عوامل نفسية كثيرة كان لها تأثير كبير في حياة أحلام مستغانمي وتضنط عليها مما أدت إلي الخيبة و ولدت لديها الخوف من الآتي و سوء المستقبل وزرعت في نفسيها العداوة و الحقد. منها:

- أ- فقدان صحة والدها التي كان رمزاً للنضال من أجل الوطن.
- ب- تعلم اللغة العربية و تشجيعها من جانب أبيها لتأثر بها.
- ج- الأزمات و الانقلابات و الاغتيالات التي شاهدت في بلدها الجزائر
- د- استشهاد كل أعمام أحلام و أبناء عمها في المعارك ضد الاحتلال
- هـ- مهاجرتها و زواجها في غربة
- و- دراستها الجامعية في علم الاجتماع و تعرفها العلل الرئيسة التي تؤدي إلي الأزمات الجسمية و الروحية
- ز- أحداث العراق و دمارها التي زرعت فيها النقمة علي أمريكا و علي أمة العرب و علي حكامها بصورة كبيرة.

قائمة المصادر والمراجع

- ١- إبراهيم كارل ، التحليل النفسي والثقافة، تر:وجيه أسعد، وزارة الثقافة، دمشق ١٩٩٨ م
- ٢- إسماعيل عز الدين، التفسير النفسي للأدب، دار المعارف بمصر، ط١، ١٩٦٣ م
- ٣- ايزر فولفجانج، عمليات القراءة ، ترجمة علي عفيفي، مجلة الفصول، القاهرة، المجلد ١٦، العدد ٤، ربيع ١٩٨٨م
- ٤- ييلمان نويل جان، التحليل النفسي و الأدب، تر:حسن المودن، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ١٩٩٧م
- ٥- جارا الله سليمان؛ منظور الزمن و علاقته بالجلد في مواجهة الأحداث الصادمة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة سطيف، الجزائر، ٢٠١٢م
- ٦- الدروبي د. سامي؛ علم النفس و الأدب، دار المعارف بمصر، ١٩٧١م

- قراءة نفسية لأفكار أحلام مستغانمي من خلال كتابها..... (380)
- ٧- سيد عبدالله معتز؛ بحث في علم نفس الاجتماع، دار الطباعة للنشر و التوزيع، القاهرة، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٠م
- ٨- الشرييني زكريا أحمد؛ المشكلات النفسية عند الأطفال، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م
- ٩- عبدالله محمد العوضي؛ التفكير الراقى، عن الشبكة العالمية للمعلومات، ٢٠٠٤، (الانترنت www.aljalsa.com)
- ١٠- عبد المعطي حسن مصطفى؛ ضغوط الحياة و أساليب مواجهتها، الطبعة الأولى، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠٦م
- ١١- عثمان الفاروق؛ القلق و إدارة الضغوط النفسية، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠١م
- ١٢- عكاري سوزان؛ السخرية في مسرح أنطوان غندور، المؤسسة الحديثة للكتاب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١م
- ١٣- عيسوي عبدالرحمن؛ سيكولوجية الجنوح، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، دون طبعة، لبنان، ١٩٨٤م
- ١٤- فرويد سيجمند؛ الأنا و الهو، ترجمة الدكتور محمد عثمان النجاتي، دار الشروق، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٨٢م
- ١٥- كلاين ميلاني، ريفير جون؛ الحب و الكراهية، ترجمة وجيه أسعد، دار البشائر للطباعة و النشر و التوزيع، دمشق، ١٩٩٣م
- ١٦- جاك لاكان. إغواء التحليل النفسي، إعداد و ترجمة عبد المقصود عبد الكريم، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ١٩٩٩م
- ١٧- مستغانمي أحلام؛ قلوبهم معنا و قنابلهم علينا، دار الآداب للنشر و التوزيع، بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠١٠م
- ١٨- مستغانمي أحلام؛ ذاكرة الجسد، دار الآداب للنشر و التوزيع، بيروت، الطبعة الخامسة عشرة، ٢٠٠٠م
- ١٩- منصور طلعت و زملاؤه؛ أسس علم النفس العام، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٣م
- ٢٠- (الموقع الإلكتروني: www.mosteghanemi.net)
- ٢١- نوال بن صالح؛ مرارة السخرية في قلوبهم معنا و قنابلهم علينا، مجلة المخبر العدد السادس، جامعة محمد خيضر، بسكرة الجزائر، ٢٠١٠م
- ٢٢- الهاشمي عبدالحميد؛ علم النفس الاجتماعي، دار المشرق، جدة، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م